

3. البعد الاجتماعي :

يرتبط هذا البعد بجدد الموضوعات التي تتعلق بالوقائع والظواهر والفئات الاجتماعية، ويركز بالأساس على اعتبار النص وثيقة تكشف عن الوقائع التاريخية والذهنيات والأيدولوجيات.

ورواية اللص والكلاب تقدم لنا صورة دقيقة عن المجتمع المصري بعد حوالي تسع سنوات من قيام ثورة الضباط الأحرار بزعامة جمال عبد الناصر سنة 1952. وتعكس في الآن نفسه، موقف الكاتب من المرحلة التاريخية التي احتك خلالها بالمجتمع المعيش وامتك تجارب في عدة مجالات تخص ما هو اجتماعي وما هو سياسي وثقافي وأدبي.

وقد ركز المؤلف في روايته "الاص والكلاب" على بعض القضايا الفكرية والسياسية والعقائدية معبراً عن هذه المعاني السامية تعبيراً فنياً رائعاً يجمع بين التفكير الفلسفي والإبداع الفني مؤثراً الميل إلى التجريد والرمز وإرسال الفكرة المعنوية ذات المغزى العميق، لما انطوت عليه الرواية من رموز غامضة وفلسفة عميقة ذات أعماق وأبعاد وإيحاءات بعيدة الغور. وبذلك ارتفعت هذه الرواية بمستواها الفني ومضمونها الفكري وبعدها الاجتماعي وموقفها الإنساني إلى مستوى رفيع جداً يجعلها ترتفع إلى مصاف روائع الفن الروائي العالمي. ونستجلي بهذا الصدد بعض الأبعاد الاجتماعية في الرواية كما يلي :

1. تفاوت المظاهر الاجتماعية :

الأحداث والمظاهر الاجتماعية : الطبقات الاجتماعية - التفاوت الاجتماعي - المأساة والمعاناة الإنسانية - الفقر المدقع - الغنى الفاحش - التهميش والإقصاء - الخيانة والانتهازية - التآمر وسيادة المكر والخديعة - الفساد والدعارة - اللصوصية (الحرامية) - الاتجاه بالمنتجات والمخدرات - المصالح الذاتية - رغبات الناس وإكراهات الواقع - الدين الرسمي - الدين الفردي الموروث - المريدون والمتصوفة - المظاهر العمرانية - الحارة - المقاهي الشعبية - ...

✓ التعبيرات الواصفة للمظاهر الاجتماعية : الصور الحيوانية الحقيرة : (الكلب، الحشرة، الثعبان، الخنزيرة، الدودة، البقرة..)، أو بعض الألقاب الدالة على الحس الأخلاقي المنحط (اللص، السارق، طينة نتنة، الأوغاد، الخيانة، الخونة، الحقير، جثة عفنة، ..) أو التسييد والتمييز (سيدي، مولاي، الشيخ، الأب، عم، أستاذ، المحبوبة، أمي، زوجتي...)، وكذا ما اتصل بالحارة (الشارع، الملاهي، المقام، الخمارات، المقهى، المدفن، الدكاكين، ...)، أو الملابس (فستان، شبشب، بذلة الضابط، الجاكتة، طاقيّة، أقمشة مفصّلة، ...).

✓ الأحداث والمظاهر السياسية : التحولات السياسية - انتشار الوعي السياسي - التعبير عن الإرادة الإنسانية - النضال - الثورة - المؤسسات الرسمية للإعلام والأمن - الصحافة - فشل الثورة - مطاردة معارضي النظام - إهدار الحقوق المدنية - السجن - الاعتقال

2. الفئات الاجتماعية :

والى جانب هذه المظاهر الاجتماعية والأحداث السياسية، نقوم بجرد موجز للفئات الاجتماعية المتمثلة في التجمعات والطبقات والتيارات الفكرية والمذهبية، ومنها :

❖ المؤسسة الرسمية :

تتضمن الرواية عدة مؤسسات فاعلة ومؤثرة على شخصياتها، نذكر منها :

- السجن : هو مصير البطل (سعيد مهران)، وأثناء تواجده به، حصلت الخيانة وتحققت أهداف الانتهازيين.

- الصحافة والشرطة : تطبق التعليمات، كل بطريقته الخاصة، وتتمثل في الدفاع عن النظام السائد ومطاردة معارضييه واعتقالهم. ونجد ضمنها : (علوان والمخبر ورجال الأمن)

❖ الجماعة المتصوفة :

يمثلها شيخ الشيخ والأب الروحي للجماعة : الجنيدى، وأباعه المريدون الذين اختاروا " حياة خاصة تقوم على ممارسة الذكر وخلق فرص للتعاون والتآزر فيما بينها لمواجهة مصاعب الحياة المادية، مادامت الدولة لا توفر لهم مستلزمات الحياة". ميزة هذه الجماعة أو الطريقة الصوفية بعدها عن الواقع السياسي والانعزال عن الحياة الاجتماعية، نذر شيخها حياته للذكر والعبادة واستقبال الذاكرين .

❖ المعلم ورجاله :

- وهي فئة اجتماعية تتشكل من سيد الحارة (المعلم)، القهوجي (المعلم طرزان) ورجاله الذين يسهرون على حمايته وخدمته ويشغلون لحسابه (الاتجار في الممنوعات والمخدرات والسرقة والتهريب) (بياضة مثلا). وتقدم الرواية (سعيد مهران) قبل دخوله السجن و(عليش سدره) الذي انقلب عليه واحتل مكانته، نموذجا لذلك. ما يقوم به (المعلم) شبيه بما يقوم به الشيخ بكيفية مختلفة مما يبرز التناقض في المجتمع المصري .

❖ فئات أخرى : وعلى هامش هذه الفئة توجد فتلا أخرى مهمشة : خاصة العاهرة نور، التي أحببت سعيد مهران حبا حقيقيا ولكنه كان يلتفت إلى نبوية، حافظت على حبه وفرحت لخروجه من السجن وقدمت له المساعدة بكل السبل في وقت المطاردة والأزمات . وقد الجأت إلى هذه السبيل غير السوية، تباع جسدها لتعيش بغية تأمين حياتها، وتشعر أن حياتها لا معنى لها، مع استمرار معاناتها.

3. صراع القيم :

ويمكننا انطلاقاً مما تقدم، أن نستخلص جملة من القيم الأخلاقية والمعايير السياسية والتاريخية التي يستعملها النص الروائي بطريقة ظاهرة أو مضمرة، وذلك من خلال رصد بعض السلوكيات الفردية والجماعية للشخصيات :

- الصراع بين الغنى الفاحش والفقر المدقع : أو بين الطبقة الارستقراطية والطبقة الكادحة : يمثل الطبقة الأولى النظام الحاكم والصحفي الانتهازي علوان ومن على شاكلتهم، والطبقة الثانية سعيد وأعوانه، فقد حاول سعيد مهرا ن مرارا وتكرارا أن ينتقم من أعدائه الذين غدروا به وتأمروا عليه ودمروا حياته كلياً، لكن محاولته فشلت ولم يستطع تحقيق ما كان يصبو إليه عن طريق مسدسه، لأن أعداءه كانوا متسلحين بأسلحة أكثر فتكاً ودماراً من سلاحه، وهي أسلحة الغدر والخيانة والزيف والردة والنفاق.
 - فقدان القيم الأصيلة : استبدل المجتمع المصري قيما دخيلة على قيمه الأصيلة والمتجذرة، فأصبح مجتمعا انتشرت فيه مجموعة من الأمراض الاجتماعية : الخداع والنفاق والزيف والانتهازية والتضليل، الذي ساد الحالة الاجتماعية المتعفنة في ظل نظام سياسي فاسد مبني على الظلم والرشوة والفساد تنعم فيه فئة قليلة من الخونة والانتهازيين المتسلقين من ذوي النفوس المريضة والضمائير الميتة الذين يلهثون وراء مصالحهم الشخصية ومنافعهم الذاتية، دون أن يعيروا أي اعتبار للمصلحة العامة. و"اللس والكلاب" مستوحاة في جزء هام منها من هذا الوضع المثقل بالأمانى. ومن جراء ذلك عمّت الجميع الأنايية المفرطة وبرزت البيروقراطية في أشنع صورها وأشنع أشكالها، وأحكم اللصوص الحقيقيون أو الخونة سيطرتهم على البلاد والعباد سيطرة كلية وبشكل فظيع !
 - مجتمع متناقض : يشير المؤلف من خلال روايته "اللس والكلاب" بإصبع الاتهام إلى المجتمع وعيوبه ومفاسده وشروره . هذا المجتمع الذي تسوده الفوضى والاضطراب وبكل ما يعج فيه من صراعات وتناقضات، إلى حد وصف كل متسلط أو خارج عن القانون أو مجرم أو مخبر أو واشي "بالكلب أو الكلاب" .
 - انتصار القيم الجشعة : سيطرت قيم الجشع وقضاء المآرب، وتمكنت الأهواء والنزوات التي تقتل في نفس الإنسان الأحلام والآمال والتطلعات وكل القيم الإنسانية الخيرة. ومن هنا تنطلق شرارة ثورة الإنسان وتمردّه على المجتمع، وما تمرّد سعيد مهرا ن وغيره من الشخصيات الثائرة والمتمردة في الرواية العربية والأجنبية إلا نموذج لهذا المتمرد الثائر على أوضاع مجتمعه المهترئة. "فالمجتمع الذي يفقد قيمة الحرية في معناها الأساسي يتدهور وتزدهر فيه الانتهازية والوشاية والجشع، وتصبح المادة والربح العاجل هما القيمة الوحيدة الثابتة، وأما ما عداها فمتغير ومتحول بحسب المصلحة الذاتية .
- مجتمع يتحدى : رغم كل هذه الاختلالات والانحرافات والتناقضات في المجتمع فهناك بصيص أمل، في بعض السلوكيات الفردية أو الجماعية في المجتمع، فالإنسان بطبعه لا يستسلم بسهولة لأوضاع المجتمع الظالمة بل يقاومها ويتحداها باستمرار. فهناك أحرار لا يقبلون الضيم ولا الظلم، ومنهم "سعيد مهرا ن"، وهناك محافظة على الأصول والعقائد الدينية في المجتمع رغم الزحف الحضاري المادي، فلا يزال الأذان يُرفع وتُقام الصلوات وتُرتاد الزوايا من المريدين، إلى غيرها من الظاهر المشرقة في المجتمع رغم الظلام السائد .